العرب
الأربعاء 2020/03/25
السنة 42 العدد 11657

نادي القاهرة للسينما في مرمى النيران

الصراع بين الأجيال في الزمن الصعب

محبّو السينما أرهقهم صراع النقاد في السبعينات

في هذا المقال استعراض لزمن الثقافة السينمائية في سبعينات القرن الماضي من خلال نادي القاهرة للسينما، وما كان يحدث في داخله من صراعات من أجل النشر في وقت ضاقت خلاله المساحات المخصّصة للنقد السينمائي.

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

في السبعينات كانت الصحف والمجلات قليلة العدد، وكان بعضها يُخصّص صفحات سينمائية مثل "الجمهورية"، ولكن كان سمير فريد هو الناقد الرسمي الذي يحرّر تلك الصفحة. وكان لغيره متنفس في صحيفة "المساء" التي كانت تتميّز بملحقها الأدبي والثقافي.

وكنا نستطيع أن "نتسلّل" أحيانا وننشر فيها بفضل رجل عظيم مثل عبدالفتاح الجمل، كان يلتقط الموهبة الصاعدة ويشجعها ويدعمها ويتعامل معها كما يتعامل مع أكبر الكتاب، وهو درس تعلمت منه وسرت عليه عندما أسّست موقع "عين على السينما"، بل وعندما رأست تحرير مجلة "السينما الجديدة" التي أصدرناها شهريا عن جمعية نقاد السينما المصريين في 2002.

غياب النقد

من المدهش مثلا أن صحيفة كبيرة مثل "الأخبار" وتوأمها "أخبار اليوم" لم تكن كلتاهما تخصّص صفحة للسينما، وهي لا تفعل حتى يومنا هذا. ولكنها تنشر تحقيقات سينمائية وأخبارا وطرائف عالم السينما والنجوم، وغير ذلك ممّا يدخل في باب "المنوعات" وليس النقد السينمائي.

كذلك تفعل "الأهرام" منذ نشأتها حتى يومنا هذا باستثناء فترة قصيرة في الخمسينات والستينات عندما كانت تصدر ملحق الأدب والفن، فهي لا ترحب بالنقد بل بنشر قطع صحافية صغيرة عن السينما المصرية والأميركية تحديدا، وما فهمته أن هذه الصحف كانت عيونها على إعلانات الأفلام وشركات التوزيع، وبالتالي كانت تتجنّب نشر نقد قد يساهم في "ضرب الفيلم"، حسب تعبيرهم الشهير.

كانت "الأهرام" في وقت ما تنشر النقد الأدبي والمسرحي (مقالات الباحث لويس عوض في هذا المجال مشهود لها)، لكنها لم تكن ترحب بمقالات النقد السينمائي. وكانت مجلة "الكواكب" الوحيدة التي تنشر لكتاب ونقاد مثل سعدالدين توفيق وعبدالمنعم صبحي وعبدالنور خليل. ولكن بشكل عام كانت مساحة النشر ضيقة للغاية.

وقد تعثّرت باستمرار إصدارات وزارة الثقافة لمجلات السينما المتخصّصة. فمع كل الزخم الذي نشأ في الواقع السينمائي مع تخرّج الدفعات المختلفة من معهد السينما منذ عام 1963، برزت الحاجة إلى وجود مجلة سينمائية تتبنّى الجانب النظري، أي توجّه وتقوّم التجارب السينمائية الجديدة، وتنشر الفكر السينمائي الجديد بحيث تساهم في رفع مستوى التذوّق، لا نبالغ فنقول عند "جماهير المشاهدين" بل على الأقل عند متذوّقي ومحبّي السينما من المثقفين.

في أوائل عام 1968، أي مع إنشاء "نادي السينما"، صدرت مجلة "المسرح والسينما"، كان يرأس تحرير قسم السينما فيها سعدالدين وهبة، وتكوّنت هيئة التحرير من أحمد الحضري ومصطفى درويش وصبحي شفيق وكان محفوظ عبدالرحمن سكرتير التحرير.

لكن هذه المجلة توقّفت بعد صدور ثمانية أعداد، أي بعد أن أكملت العامين، لتصدر بعدها مجلة "السينما" منفصلة برئاسة تحرير سعدالدين وهبة أيضا وتكوّن مجلس التحرير من أحمد كامل مرسي وأحمد الحضري وصبحي شفيق وسمير فريد ويوسف شريف رزق الله.

ولم تستمر هذه المجلة أكثر من سنة بل أقل وتوقّفت في أكتوبر 1970 بعد وفاة جمال عبدالناصر. أما ما صدر بعد ذلك من مجلات سينمائية فلا يعتدّ به ولا يمكن أخذه على محمل الجد. فقد ظهر بعد أن أسفر الوضع الثقافي الجديد عن وجهه الحقيقي، مع تولي الكاتب يوسف السباعي منصب وزير الثقافة، فقد اتضح أنه جاء بتعليمات من الرئيس السادات لإسكات أصوات مثقفي اليسار. وفي ذلك الوقت كان كل شاب يحمل كتابا ويضع على عينيه نظارات طبية، يُنظر إليه باعتباره شيوعيا خطير الشأن. كان هاجس تعقب الشيوعيين في الجمعيات والتجمّعات والمنتديات الثقافية قد صنع مناخا محموما.

وقد نجح السباعي في إغلاق المجلات الثقافية المرموقة مثل "الطليعة" و"الفكر المعاصر" و"الكاتب". ولا شك أن هذا المناخ قد امتد بالضرورة إلى "نادي السينما".

وأصبح المنبر الوحيد البديل الذي ينشر النقد السينمائي الجاد المتخصّص التحليلي، هو نشرة نادي السينما. وكان النادي نفسه، قد نجح، بعد ست أو سبع سنوات من تأسيسه، أي بحلول عام 1973 – 1974، في تكوين جيل من الشباب المهتم بالنقد السينمائي والتعامل العلمي مع السينما كفن يستحقّ أن يكون له نقاده المتخصّصون شأنه شأن الأدب والمسرح والفن التشكيلي.

> يوسف السباعي نجح في السبعينات في إغلاق المجلات الثقافية المرموقة مثل «الطليعة» و«الفكر المعاصر» و«الكاتب»

من ناحية كان هناك الجيل الأقدم، ولا نقول "القديم"، لأن معظم آبائه كانوا في الثلاثينات أو الأربعينات، ومن هؤلاء على سبيل المثال: سمير فريد (كان في الثلاثين من عمره عام 1973)، وسامي السلاموني (37 سنة)، وهاشم النحاس (36 سنة)، وفتحي فرج (37 سنة)، وربما كان أكبرهم صبحي شفيق (42 سنة) وأحمد الحضري (47 سنة).

ومن الناحية الأخرى كان هناك الجيل "الأصغر" وكان معظم أبنائه في أوائل العشرينات، والبعض تجاوز منتصف العشرينات بقليل مثل فايز غالي وعلي أبوشادي والفاروق عبدالعزيز. وكان هذا الجيل الذي نشأ وتكوّن وعيه في نادي السينما وجمعية الفيلم والمراكز الثقافية الأجنبية مثل المركز الفرنسي والإيطالي والألماني الشرقي والتشيكي، يبحث عن فرص للنشر، للتعبير وللتأثير. ولا أظن أن الأمر كان يتعلّق بمكافآت النشر المالية، وكانت ضئيلة للغاية على أي حال، ولكن الأمر صوّر في وقت ما على أنه صراع حول "الرزق" من قبل بعض المنتسبين للجيل الأول!

صدّ الاحتكار

كان هناك كتاب ثابتون في النشرة هم أساسا سامي السلاموني ويوسف شريف رزق الله وسمير فريد (إلى أن قلّل من كتاباته نسبيا بعد أن كان قد شقّ طريقه مبكرا للنشر في المجلات العربية خارج مصر في منتصف السبعينات)، وبدرجة أقل هاشم النحاس ورفيق الصبان وفتحي فرج وصبحي شفيق وأحمد الحضري. وكان سامي السلاموني تحديدا يذهب يوميا إلى مركز الصور المرئية مقر نادي السينما، ليكتب مقالاته هناك، أو على مقهى "لاباس Lapas" في وسط القاهرة، وكان غزير الكتابة، يمكنه أن يكتب بلا توقّف عن كل ما يصادفه من أفلام أو ظواهر أو أحداث، لا يهم إن كانت مرتبطة بما يعرضه النادي من أفلام أو بما يُعرض في الصالات التجارية وغير ذلك من نشاطات سينمائية.

وكانت هذه الكتابات مفيدة دون شك، وبعضها كان ممتعا أيضا. لكن سامي اعتقد أنه لقربه من الحضري رئيس النادي وعلاقته اليومية بمقر النادي، وأساسا، عضويته في لجنة النشر التي تشرف على ما ينشر في نشرة نادي السينما، تملك أن تجيز أو تمنع أو تختصر، أن من حقه أن يحتل مساحات واسعة من النشرة على حساب مقالات غيره خاصة أبناء الجيل الصاعد ومنهم كاتب هذه السطور، وكنت وقتها لا أزال طالبا في الجامعة.

والملاحظ أيضا أن سامي السلاموني رغم نشاطه الكبير في النادي وفي "جمعية الفيلم"، لم يكن طرفا على الإطلاق سواء في مجلة "المسرح والسينما" (1968 – 1969) أو مجلة "السينما" (1970)، أي لم يشارك بالكتابة أبدا في المجلتين. صحيح أنه كان يعمل في مجلة "الكواكب" ثم انتقل منها إلى "الإذاعة والتلفزيون" الأسبوعيتين، لكنه كان أيضا لا يشعر بوفاق مع سعدالدين وهبة ولا مصطفى درويش. وقد يكون هذا هو السبب.

أما يوسف شريف رزق الله فكان يملك مخزونا متجددا باستمرار من المجلات السينمائية الفرنسية كان يحصل عليها عن طريق الاشتراكات أو الشراء خلال أسفاره خارج مصر، ولا بد أنه كان شديد التنظيم في ما يتعلّق بالمواد التي كانت تضمنها هذه المجلات. وكان يعرف جيدا أين يحصل على مقابلة أو موضوع عن مخرج ما، لذلك كان الأكثر نشاطا في موضوع ترجمة كل ما يتعلّق بالمخرجين الفرنسيين وغيرهم ممّن تُعرض أفلامهم في النادي.

لذلك كان يصاحب نقد الفيلم مقابلة أو أكثر ترجمها يوسف مع مخرجه، أو مادة إضافية تلقي الضوء على الفيلم من زاوية النقد الفرنسي. وكان هذا الجهد مفيدا دون شك.

مع تراكم الضغوط والمطالبة بضرورة الانفتاح على كتابات الجيل الجديد والتخلّص من "احتكار" البعض لنشرة النادي، كان لا بد أن ينفجر الوضع، فقد أصبحت هناك شكاوى يتم التعبير عنها بصوت عال من قبل بعض أعضاء النادي ممّن يرغبون في التعبير عن أفكارهم بالكتابة.

لذلك، وفي 19 يونيو عام 1974، دعت لجنة النشرة النادي "أعضاء النادي الذين سبق لهم الكتابة في النشرة أو الذين يرغبون في الكتابة لها وكل المهتمين إلى اجتماع عام آخر بمركز الصور المرئية في أول يوليو 1974 لمناقشة ما يتعلّق بالنشرة وتطويرها. وفتح هذا الباب أمام حملة متبادلة من الانتقادات التي شابها التوتّر بين الطرفين.

مجلة عالمية تتبع طريق اللؤلؤ البحريني

المنامة – شكّلت صناعة صيد اللؤلؤ أهمية على مرّ التاريخ بالنسبة لاقتصاد البحرين، حيث كانت العاصمة السابقة المحرق مركزها العالمي، وتم تشييد مركز زوار طريق اللؤلؤ ضمن موقع مسار اللؤلؤ في المحرق البحرينية، والمدرج منذ عام 2012 على لائحة التراث الإنساني العالمي لليونسكو.

ويسلّط المركز الضوء على هذا التاريخ من خلال الحفاظ على عدد من المواقع والعديد من المباني، من منازل الغواصين المتواضعة إلى مساكن الفناء المرموقة، وتم ربط جميع هذه المواقع عبر مسار الزائر، مع مجموعة من الأراضي الخالية التي تُركت كأماكن عامة نظرا لعمليات الهدم التي طالت الأماكن الطبيعية.

وبعد افتتاحه رسميا حين كانت المحرق عاصمة الثقافة الإسلامية عام 2018، يستمر المبنى الذي صمّمه المصمّم العالمي فاليريو أولجياتي في جذب انتباه أهم المجلات العالمية المتخصّصة بالعمارة، ومن آخرها مجلة "دوموس" الإيطالية التي خصّصت مقال ضيف شرف التحرير في عددها الدوري الصادر في الربع الأول من هذا العام للحديث عن مركز الزوار.

وبدأت المجلة مقالها "في قلب العاصمة السابقة للبحرين، تمت إعادة إحياء موقع له تراث تاريخي فريد من نوعه تكريما لصناعة اللؤلؤ في المدينة"، كما خصّصت للمقال صفحات حملت العديد من الصور التي تُبرز جماليات المبنى ومختلف مرافقه، وذكر مسار اللؤلؤ ومضمونه.

وفي المضمون الذي يعيد تاريخ اللؤلؤ إلى الواجهة، نقرأ أهمية هذا المبنى الذي يحافظ على مفهوم التراث والعمران البحريني، إذ يعكس في مختلف جوانبه عناصر عمرانية محلية، مكمّلا بذلك الطريق الذي تتابع هيئة البحرين للثقافة والآثار ترميم بيوته وتشييد الساحات والمواقف الخاصة به.

كما يسرد المقال رؤية المهندس العالمي فاليريو في بناء موقع حديث يستخدم عناصر المباني التراثية ركيزة له، كأبراج الرياح الهوائية القديمة والموجودة في بيوت البحرين التراثية والتي على مثالها بنى عددا من الأبراج تعلو مركز زوار طريق اللؤلؤ حاملة السقف العالي للمبنى الذي يرتفع عشرة أمتار، وفيه فتحات خماسية تسمح لأشعة الشمس بالوصول إلى الأرض التي ما زالت تحمل بقايا السوق القديم والتراث المحلي.

ومنها أطلال مبان وجدران طويلة من الحجر المحلي وبعض أعمدة بناء وبقايا سوق تقليدية، وكل ذلك ضمن الرؤية الخاصة للمهندس الذي أراد تسليط الضوء على العمق التاريخي للمكان وعلاقته بصناعة اللؤلؤ.

ويعكس مقال المجلة العالمية "دوموس" الغنى التاريخي لمدينة المحرق ولمسار اللؤلؤ بالتحديد، وأهمية مبنى مركز الزوار في قلب المدينة القديمة والذي جاء علامة استثنائية واضحة جذبت المتخصّصين في العمران. كما يساهم هذا المقال في الترويج لمملكة البحرين ومواقعها التراثية الإنسانية وأهمية الاستعانة بالخبرات العالمية في عملية إبراز التاريخ المحلي وانتشاره عالميا.

وطريق اللؤلؤ في البحرين هو طريق يمتد 3.5 كيلومتر، ويقع في جزيرة المحرق في البحرين الذي تم استخدامه من قبل غواصي اللؤلؤ خلال معظم تاريخ البحرين حتى أوائل ثلاثينات القرن العشرين عندما انهار سوق اللؤلؤ في البحرين نتيجة لإدخال صعود اللؤلؤ الصناعي من اليابان.

وبدأ صيد اللؤلؤ في البحرين منذ عام 2000 قبل الميلاد، ويتألف من 17 مبنى و3 حاضنة محار تقع بالقرب من البحر وجزء من الساحل وقلعة بوماهر في الطرف الجنوبي من المحرق. وقد اعتمد الطريق كموقع للتراث العالمي تابع لليونسكو في 30 يونيو 2012، وهو موقع التراث العالمي الثاني في البحرين بعد قلعة البحرين.

وذكر الغوص بحثا عن اللؤلؤ في البحرين لأول مرة في النصوص الآشورية التي يرجع تاريخها إلى ألفي عام قبل الميلاد في إشارة إلى عيون السمك من دلمون (الاسم القديم للبحرين). وأيضا تايلوس، وهو الاسم اليوناني للبحرين، حيث ذكر بلينيوس الأكبر أنها كانت شهيرة بالعدد الكبير من اللؤلؤ.

> الغوص بحثا عن اللؤلؤ في البحرين لأول مرة، ذكر في النصوص الآشورية التي يرجع تاريخها إلى ألفي عام قبل الميلاد

وجاء العصر الذهبي لصيد اللؤلؤ في ما بين عقد 1850 إلى عقد 1930 عندما كان اللؤلؤ أغلى من الألماس الذي جذب المشاهير أمثال جاك كارتييه إلى البلاد. وكان هناك حوالي 30 ألف غواص لؤلؤ بحلول نهاية عام 1930، كما كان صيد اللؤلؤ الصناعة الرئيسية في البحرين قبل اكتشاف النفط في 1932. وبعد انهيار صناعة اللؤلؤ تحوّل معظم الغواصين لقطاع النفط الذي تأسّس حديثا. ويحظر حاليا تداول اللؤلؤ الصناعي في البحرين، ويوجد عدد قليل من غواصي اللؤلؤ اليوم.

ويأخذ طريق اللؤلؤ الزائر في رحلة توثّق تاريخ حقبة زمنية في البحرين ومنطقة الخليج العربي كان اقتصادها يعتمد على اللؤلؤ، ويوضّح المسار الذي يعيشه اللؤلؤ البحريني من لحظة خروجه من قاع البحر حتى وصوله إلى الأسواق العالمية. ولذلك حاز موافقة "لجنة التراث العالمي" باليونسكو في دورتها الـ36 عام 2012، لاعتباره ثاني موقع للتراث العالمي في البحرين، بعد قلعة البحرين التي تم تسجيلها ضمن القائمة في عام 2005.

وقد اعتبرت اللجنة أن "الموقع هو ما تبقى من الماضي للتقليد الثقافي لصيد اللؤلؤ والثروة المتولّدة عن طريق الهيمنة على اقتصاد الخليج من القرن الثاني إلى عام 1930 عندما صنّعت اليابان اللؤلؤ الصناعي".

موقع مسار اللؤلؤ في المحرق البحرينية.. تراث إنساني عالمي

رزق الله كان يُصاحب نقده مقابلة بترجمتها مع المخرج، ومادة تلقي الضوء على فيلمه من زاوية النقد الفرنسي